قرأت العدد الماضي من "الآداب"

القصائد

بقلم محسن الخياط

لم تعد رشاشات الشعارات قادرة على ان تنفذ الى القلب ، وان تحيل آثار النكسة في الشعب العربي الى صمود واصرار ، وكان لا بد لانغام جديدة أن تنبعث من نايات الشعر .

ولسنا نغالي ان قلنا ان النكسة قد غيرت بشكل جذري مضمون النغمات ، وانه قد أطل على العالم العربي وجه جديد للشعر ، ليس ذلك الوجه القديم الذي سقطت كل اقنعته فبدا غريب الملامح ، لايحمل من القسمات العربية غير الالفاظ .

ويضم العدد الماضي من الاداب « يوليو ١٩٧٢ » بعضا من القصائد لشعراء من العراق ومصر وسوريا . وهي في مجموعها شاهد على ان الشعر العربي قد بدأ يتحرك خارجا من سراديب الضياع ، والتمزق والهروب ، واللامبالاة الى عالم الحقيقة بكل ما يكتنفه من ضباب ، وبكل ما في مذاقه من مرارة .. بدا يستشعر أن وجوده ليس في عالم اللاوجود ، ولكن وجوده يتأكد بملامسته لارض الواقع الصلبة بالرغم من الزلازل التي تتهددها . هكذا وقف شعر الارض المحتلة يواجه التحديات ، وقف على ارض المعركة يريق دمه الى جانب الفدائيين ، ويدفع عن نفسه شبح الضياع والتمزق بحبه للارض ، وصموده عليها ، وتضحيته من اجلها .

ان وقع أقدام جديدة بدأت تدب على الارض العربية ، وبدأت تتجمع معها في الافق البعيد خيوط فجر جديد يحمل الشعر بشيرا باقتراب مولده .

وفي ما قدمه العدد الماضي من أشعار نجد ان شعراء القاهرة قد خصوا وطنهم بتجاربهم ، في حين خرج شعراء العراق بتجاربهم خارج حدود بلادهم ، أما شعراء سوريا فقد غلب على أشعارهم التعميم دون التخصيص كما في قصيدة « صباح الدين كريدي » . واشهد ـ من البداية ـ أن شعراء العراق قد احرزوا تفوقا ملموسا على غيرهم من شعراء ذلك العدد .

ولنبدأ بشعراء القاهرة :

فالشاعر « محمد ابراهيم ابو سنة » يجد في الوصول الى فجر حبيبته مصر صعودا على درج الحب ، حتى وان كان حبه حلما .... حتى وان كان مستحيلا ، فهو عاشق مستهام ، يدرك ان سواها هو الوهم . ولهذا ، فانه لا يكف عن مناداتها بأن « أفيقي » .

فما زال يمكن الا تكوني طماما وخبزا
وما زال يمكن الا تكوني وساما وفبرا
وما زال يمكن أن يتوقف هذا النزيف
ويبقى جمالك عصرا .. وعصرا

ان تجربة الشاعر تفتح بالحب طريقا الى التضحية ، فحبه يؤرقه أن يراها نائمة في وحول الطريق ، ويود لو يجرح صدره ويلقي عليها بخيوط الدماء حتى تستفيق . لقد لخص الشعب تاريخ وطنه في لحظة حب ... في لحظة استثارة حبيبته ان تفيق ، وحرص في هذه اللحظة اللاشعورية ان يترك للحب مهمة نسج الوحدة العضوية لتجربته ، وتلوين مقاطعها بالصور الموحية التي تقوم دليلا على كل ماساة بعينها دون أن تفصح عنها بالاسم ، ولعل ايحاءات تلك الصور هي الشيء الجديد في اشعار « ابو سنة » الاخيرة .

ولكنه كان بامكانه ان يضيف الى تجربته بعدا نفسيا آخر لو انه يستخدم ضمير المخاطب ، واستعاض عنه بضمير الغائب ، فقد اضفى عليها الاول زيا خطابيا ولو أن طبيعة بنائها الداخلي يوحي بغير ذلك . لقد اعدت قراءة القصيدة مرات بضمير الغائب ، فاكسبها ذلك بعدا نفسيا جديدا فحلا همسها ، وترسب مضمونها في الاعماق أكثر من ذي قبل .

اما الشاعرة « ملك عبد العزيز » فقد مرت بقصيدتها «سقوط» عبر مرحلتين ، شاهدتا في الاولى مصرع الزيف حين هاجمه الصدق ، وسقوط المتخطرين على جبال السيرك ، ولكنهم يسقطون منتصبي القامة ، مرفوعي الرأس .

وشاهدنا في المرحلة الثانية قاماتهم وهي تطول في عالم الصدق العاري كالطفل براءة ونقاء في ساعة الميلاد .

لقد كثفت الشاعرة المرحلتين في مقاطع شعرية قصيرة حتى تصل الى مرماها باقصر الطرق . وفي سبيل ذلك ، نحت ادوات الشعر جانبا ، وامسكت بالادوات الهندسية لترسم للافكار دائرة تدور فيها حتى يأتي اسلوب التناول ملائما لمنطق الهندسي للافكار ، لهذا جاءت طريقة التناول هندسية البناء وانعكاسا لما تطرحه من افكار .

فقد سقطنا فعلا من فوق الحبل المشدود وقوفا مرفوعي الراس في ٩ يونيو ٦٧ ، ولكنا ما زلنا مقصومي الظهر من أثر السقوط ، ما زلنا نجهد في تعرية الاستار حتى نتألق تحت الشمس في عرى الصدق . اللهم الا اذا كان ما ذهبت اليه الشاعرة هو مجرد أمنيات واحلام مستقبلية تتمنى لو انها تتحقق .

ان الصدق يقودنا حتما الى الحقيقة ، والصدق الفني هو الوقود الذي يشتعل فيضيء للحقيقة الطريق ، وبغيره يكون العمل الفني قد مشى في الاسواق مرتديا ذات الاقنعة الحمراء الخضراء .

فاذا ما عرجنا على شعراء العراق ، فاننا نجد فيهم ذكاء في تناول التجربة ، فهم يبحثون عن انسب الاشكال التي تندمج عضويا مع المضمون ليصبح الاثنان لحمة البناء الفني وسداه .

فالشاعر .. « كاظم الحجاج » في قصيدته « كهف الرقيم » قد وفق كل التوفيق في الاستفادة من قصة اهل الكهف ، ولم يكتف بأن يضفي من تلك القصة القديمة ظلا على الحدث المعاصر ، بل انه دفع بالقصة الى ميدان الحدث لينسج من الحكمتين « القديمة والجديدة » نسيجا واحدا متلاحما بالرغم من تباين الغايات من كل حكمة . فاهل كهف الرقيم قد ناموا لبضع مئات من السنين لحكمة ارادها الخالق . ولكن اهل كهفنا المعاصر قد ناموا .. لا رغبة في النوم ، ولا هربا من ضياع .. ولكنهم ناموا في انتظار الطيف الذي يوقظهم ... ياخذ نومهم ويمنحهم سلاحا ، ولكن سادة القوم من ابناء عمومتهم لا يرجون لهم يقظة من رقدتهم .

ويمر عشرون صيفا أو تزيد ، وكلما حلموا بابناء عمومتهم يرقصون .. بعثوا رسولا ليعود باكيا ، فلم يزل رقص أبناء العمومة حلما ، واليقظة من رقدتهم هي الاخرى حلم . وأن قصة يقظتهم في النهاية ليست رهينة بمشيئة احد ، انها مشيئة بسطاء الناس الذين اكرهوا على النوم .

أتينا على باب راع
فقصت لنا بنته شعرها وهي تبكي ،
خذوه .. فقد قصه قبل الف .. حبيبي
وها قصه اليوم جند الاعادي .

ان استغلال كهف الرقيم كوعاء لقصة شعب تشرد .. قصة شعب اناموه واستراحوا .. فيه كثير من ذكاء ، ليس هذا فحسب فان الشاعر قد استفاد من روح القص الديني وهو يعالج حدثا معاصرا ، واستخدم رموزا هي أقرب الى تلك الروح « كالالات » التي لا تضر ولا تنفع ، واللجوء الى « بيت الراعي » وهي اشارة ذكية لمعظم

ـ التتمة على الصفحة ـ ٩٠ ـ

القصص

بقلم فاروق منيب

أحب قبل أن أتحدث عن قصص العـــدد الماضي من الآداب أن اتناول ما وراء هذه القصص . فالواقع العربي اليوم يعج بالمتناقضات الرهيبة . فهناك على طرف من اطرافه الجنود الذين يقفون على خطوط النار منذ خمس سنوات ، يأكلهم ملل الانتظار ، يتحفزون للخلاص من ذل الهزيمة والعار ، وايضا يقبع على هذا الطرف ابطال المقاومـــة الفلسطينية ، الذين يستشهدون كل يوم ، ولعل دماء غسان كنفاني لم تجف بعد ، ومن سوء الطالع أن يقتل على ارض عربية . وعلى الطرف الاخر نجد السعادة الابدية ، والرخاء الذي لا تحده حدود. ناس يعيشون حياة القرون الوسطى بكل ما لهذه الحياة من ملامح. تخلف فظيع في الافكـار والوجدان . ونعيم مقيم في المال . ناس يناصبون أمتهم العداء وهم يلهجون بالشعارات الزيفة المستهلكة .وبين هذين النقيضين تتسع المسافة وتضيق لمتناقضات اخرى عديدة . علاقـة الشعوب العربية بحكامها ، رفع الشعارات الكبيرة والفجوة التـي تحدث عند تطبيقها ، غياب المثل البسيطة الصادقة في حياتنا . الصراع بين الطبقات الشعبية صاحبة المصلحة في الثورة العربية وبين الطبقات الجديدة . البحث عن دليل جديد للعمل السياسي بعـد ان فقد الدليل السابق دوره وأهميته (في مصر على سبيل المثال) . الاستغراق في مناقشة السياسة الدولية ، واستراتيجية الدول الكبرى ومدى تأثير هذه السياسة على قضيتنا ، ومحاولة تعلق مصيرنا على اكتاف هذه الاستراتيجية . النبض البارد الذي تمر به قضيـــة العدوان في هذه الايام . المشاكل الداخلية لكل وطن عربي علـى حده . قلة الدخل الفردي ، والارتفاع الجنوني للاسعار . ضعف بعض الحكومات العربية وتخاذلها الى درجة مذهلة ، كموقف الحكومـــة اللبنانية من العدوان على جنوب البلاد . وحادث صغير ولكـــن له دلالة كبيرة . فقد نشرت الصحف ان لبنان قد سلم احد الاسرائيليين الذي وجد في الاراضي اللبنانية . يحدث هذا في الوقت الذي تخطف فيه اسرائيل الضباط الكبار السوريين .

هل هناك تخاذل بعد ذلك ؟ ولا نريد أن نسترسل في هـــذه المتناقضات البشعة فنحن نعيشها بقلب جريح ، ونفس ممرورة، وعقل لا يكاد يصدق ما يحدث !.

واذن ماذا يستطيع الادباء والفنانون ان يفعلوا ؟! أليســوا بشرا يعانون وسط هذه الجموع ؟!. انهم مبشرون ، ولكن الضغوط تطحنهم ، فما زالت الرقابة تفرض على اقلامهم ، وما زال المنــاخ الديمقراطي مطلبا من أعز أمانيهم . وما زالوا يعملون في أرض متخلفة، تتنازعها العادات والتقاليد الفكرية البالية . وهؤلاء الادباء والفنانون يتفاوتون بين اليمين واليسار دون وضوح فكري يبين مسارهــم. ومن الطريف أن يرفع اليمين شعار اليسار عند المد اليساري.وهكذا تختلط ارض الساحة ، اللهم الا بعض الاصوات القليلة التي تحافظ على استقلالها وطريقها الواضح (احمد بهاءالدين على سبيل المثال).

هذه لمحة عن الواقع ، فماذا ننتظر من القصص ؟ لندلف اليهـا مباشرة . السمة الرئيسية لهذه القصص أنها قصص تتحدث عـــن النكسة ، وعن بعض المتناقضات التي اشرت اليها . فباستثناء قصة او قصتين تدور باقي القصص السبع حول واقع الهزيمة . كيف ينظر اصدقائي القصصيون الى هذا الواقع ، ثم كيف يحاولون ان يعالجوه؟ ما مدى الاحزان والقلق الذي يتحملونه نتيجة هذه الهزيمة ؟

وليتهم يشاركون بالمدفع والبندقية والدبابة في الدفاع عـــن شعوبهم ، في هذا الوقت سوف يتحلق عندنا ادب جديد ، لا يتسم بهذه الكمية الهائلة من المرارة والكمد والاحزان . ربما يبين لنا طريق جديد من بيـن طلقات الرصاص وقصف المدافع اما ، والحالة كما ترى، راكدة ركود المياه الآسنة ، والانفعالات تضطرم في الاعماق ، ثم تفور، ثم ترتد الى الداخل ، فلا ننتظر من القصصيين ان يخرجوا من عنق الزجاجة ببساطة ، أو في وقت سريع .

ومع هذا ، فلنأخذ بعض الملامح من قصص العدد الماضي مـن الاداب .

١ ــ نصف كوب من دموع التماسيح :

يعد صلاح عيسى أحد شبابنا الاصلاء المشتغلين بحركة التاريخ القومي المعاصر . فهو مجنون بتاريخ مصر ، لا تقابله الا وفي يـــده كتاب للتاريخ ، عاشق للزعيم احمد عرابي ، تتبع خطاه في كـــل مراحل حياته . انه يحلم وهو في قلب التاريخ . وقصته « نصف كوب من دموع التماسيح » هي صرخة صادقة وسط زيف الواقـــع الذي تعيشه مجموعة من الشخصيات الصدئة . هناك الاخصائي الاجتماعي الذي رسا مطافه على العمل في احد المستشفيات بعد أن فقـــد ثوريته . وهناك التاجر الانتهازي الذي لا يتورع أن يكسب خمســة الاف جنيه دفعة واحدة دون اي مجهود سوى مكالمتين تلفونيتين يحسبهما من أصل المكسب !. وعم مسعود الصعيدي ، المسيحي الفقير المدقع، الساكن في احشاء المدينة الغليظة ، وابنته ، الزهرة اللطيفـــة، المريضة بالقلب . والطبيبة وداد صاحبة العقل البارد ،والعـــواطف المتجردة من الانسانية . كل ما يهمها أن تكمل بحثها لترسله الــى المجلة الطبية الامريكية لتنشره . الطفلة المسكينة في نظرها حالة ، ميتة ، فرحت ان التقطت لها فيلما لقلبها قبل ان تموت بدقائـــق. وعم بدوي الذي يثير فينا ذكرى عبدالمنعم رياض ، فهو يحدثنـا عنـه كاحد الاصدقاء ، اعطاه رياض سيجارة ، ما يزال يحتفظ بهـا الى الان . من خلاله نشعر بقيمة البطل عبدالمنعم رياض . يفتـــح عم بدوي في وجداننا جراح البطل الراحل . أتذكر صوره التي انتشرت في الريف المصري ، في الحقول وفي حوانيت البقالة ، وفي البيوت المتواضعة المبنية باللبن الهش ، وفي « صالونات الحلاقة » الشعبية، وقبل ذلك كله صورته التي تعيش في قلب الشعب المصري !.

في هذا المناخ ، يعيش الاخصائي الاجتماعي بعقله وقلبه، ممزقا، حائرا ، يرى بعينيه سيرك الشعارات المرفوعة ، ويشعر بقلبه وعواطفه الجياشة مهانة المريضة الصغيرة الفقيرة ، يدخل في صراع غير متكافىء، رديء ، مع اعدائه ! مهمته في القصة أن يكتب تقريرا عن حالة البنت المريضة لتنتفع به الدكتورة في بحثها . وهو على موعد مع اصدقائه، لحفلة عيد الميلاد المجيد . هناك حيث يعبون الويسكي ، تبتذل العواطف والعقول والنفوس . « الكاس الواحدة باربعين قرشا ، ويهتف عنـد السكر بسقوط الفقر ، ويتحدث عن العدل والحرية » . ترى اي هوة بين الشعار وتطبيقه يقع في فجوته هؤلاء المثقفون ؟!.

وفي النهايـة يفيق الاخصائي الاجتماعي ، « طعم الويسكي غريب. خليط من الليزول والفورمالين » ! تقتحمه المتناقضات الرديئـة التي يعانيها . لا يستطيع البقاء وسط الزيف : « الوداع يا نهر الكوثر... هذه قبعتي ... وهذه هي البايب .. مات الخواجا لان ابنته ماتت. اما هذه البصقة فلكي تسبح فيها التماسيح ».

هذه قصة نابضة بالحياة ، تعد من قصص الفكرة . الكـــاتب يلهث وراء فكرته ، راسما أرضيتها الواقعية التي تمج بالمتناقضـات ، محللا ومفسرا دروبها المختلفة .

وايضا هي قصة موقف ، لا يحب الكاتب ان يتركنا لنستنبط ما يريد أن يقوله . انه يصر بوضوح ان يقوله لنا . ولقد أصبحت شخصية التاجر الانتهازي ، والوطني الذي فقد وطنيته ، من الشخصيات التي قفزت على سطح مجتمعنا ، وبالتالي أعتلت مسرح أدبنا .لقد

ــ التتمة على الصفحة ــ ٩١ ــ

قـــرأت العدد الماضي من الاداب

القصص

تابع المنشور على الصفحة ١٥ ـ

أصحاب الرسالات السماوية الذين كانوا في الاصل رعاة ..والرعاة رمز البساطة والوداعة والامانة والشرف .

ولكي لا تنفصل قصة اهل الكهف الخالدة عن مثيلتها عندمـــا صبت في قالب شعري ، فقـــد حرص الشاعر علـى اسلوب القص باستخدام موسيقى التفعيلات المتصلة ، وهي في ذلك اقرب الموسيقى الشعرية الى القص . انه بحسه الشعري قد وفق في الغاءالمسافات بين الشعر والقصة . فقد صارت القصة على يديه شعرا دونموسيقى صاخبة ، وتحول الشعر الى قصة دون ان يفقد الشعر شيئـــا من مقوماتـه .

والمستوى نفسه نراه في قصيدتي الشاعر عبدالكريم راضيجعفر ونشر القصيدتين معا تبرره الارضية المشتركة التي تجمع بينالتجربتين. فهما مستقلتان شكلا ، متكاملتان مضمونا . ولعل الشاعر قـد اراد بذلك ان يوحد ـ في المأساة ـ بين ابناء الوطن الواحد ، فما يحدث في قطر عربي هو في حقيقته ماساة للوطن العربي كله . وقد جـــاء اسلوب التناول جديدا اصيلا ، فالبحث عن الماء هو محور التجربتين .... فالراحل الى مدائن ماء الله في القصيدة الاولى تكملة وجـــه العروس في القصيدة الثانية وهي في انتظار حبيبها ليلة الزفـــاف حاملا « الماء في صوته زورقا » . ان روعة التجربة تكمن في المقابلة بين الظما في التجربتين ، والتطابق في النهايتين . « فالراحـل » يصنع له بدو القصر من دمه لباسا،اما العروس ، فقد اعاد البـدو اليها فارسها من عطبرة بعد ان رسم الجنود السكارى وجهه بثقـوب الرصاص ، وضرجوا كفه الحاملـة خاتم العرس .

لقد اراد الشاعر للتجربتين ان تكونا وجهين لماساة واحـــدة يربط بينهما جسر أوله في الاردن وآخره في السودان ، فالاحداث بين هذا وذاك تختلف في الشكل وتلتقي في الهدف .

وقد أراد للتجربتين ايضا أن يلتقيا في نهاية واحدة فيما يخص الراحل الى مدائن ماء الله ، والفارس والعروس :

يقول الراحل :

اني هنات ـ الليلة ـ كفى .. توسدت العشقا
وعروسي عنبرت الحبا .

اما خاتم العرس في يد الفارس المضرجة بالدم :

قد صار فيروزه قبره .
رفرفت واختفت في ثياب التي رشت الماء للمتعبين .

ان الشاعر يقف موقفا واضحا من الافكار التي يطرحها ، وتمكن من تناولها بالاسلوب الذي يستهدف تعاطف الاخرين معها .. فاليـل الى القص ، واستخدام « الماء .. والظما املا للمتعبين يلتقـي التقاء موضوعيا مع المضمون .. فصبر الانسان على العطش بالذات موقوت ومحدود . لقد قدم الشاعر تجارب ناضجة هي من صميم الواقعالعربي ... قدمها برؤيا اكثر نضجا واصالة .

وبانتقالنا عبر صفحات العدد ، تفاجئنا قصيدة « الثلج»للشاعر الموصلي » عبدالوهاب اسماعيل » ، انه يصور معاناة الانسان الـذي لا تقهر ارادته تصويرا حيا ، ويخلق من المعاناة خلودا لارادته. وهو يهدف الوصول الى ذلك ـ يطرق ابواب الابداع الفني بحثا عن ثوب جديد يضيفه الى التجربة فيقوي من عناصرها ويؤصلها ، ويستمد مـن الثلج مادة خصبة ليجسد ما أصاب مجتمعنا من شلل ، وعندمـا يصعد بنا الى قمة الاختناق ، نجده وهو المنتصب تمثالا ثلجيا يعطيالدفء.. يذيب بعض الجمود .. المهم أن يصبح هو ـ وقد صار ثلاجة قطب الى شيء نافع شيء مفيد .. لا تنكره حتى الاسماك حينما يتحول في النهاية الى حصوة في قاع البحر . انه وهو « التمثال الثلجي»يعطي البهجة للاطفال حين ينثرونه على الطرقات « وفي هذا اشارة لافتـــة للنظر يستعيرها الشاعر من ليلة عيد الميلاد ، حيث يقوم الاطفال في البلدان الباردة باقامة تمثال من الثلج « لبابا نويل » يتبركون بـه ، ثم يتقاذفونه قطعا في النهاية . وعندما يتحول جرحه الى ثلاجـة تهوي الى البحر .. تعطي الدفء للاسماك ، لديدان الارض ، للدمعـة كي تسقط على الاشجار فتنمو ...

ان الشاعر يقيم جسرا قويا من التفاهم بينه وبين الاخرين بنـاه على تكثيف التجربة في اتجاه واضح ، وجديد ، وغير مباشـ .

لقد حولته الريح الثلجية الى تمثال من الثلج وبالرغم مـن ذلك فقد كان معطاء .. وهكذا الانسان ـ تخنقه كل الظروف ـ ولكنـه يظل اكثر عطاء .. او هكذا يجب أن يكون .

وآخر من نلتقي بهم من شعراء العراق هو الشاعر « محمـــد الحميميدي » حين يلج باب « عكا » دخولا الى ماساة فلسطين، فهو يبدأ بالبحث عن الطريق الى الذاكرة . هل يجد طريقه فـي ذلـك السائح في ضباب المدن يحمل بيـن الحنايا ديّة الشرق ؟ هـل يجده في انهزام الصديق ؟ في الصلاة من اجل التائهين الجياع ؟ وهل ؟ وهل ..؟ ومع كل ما يحوم بذهنه من احداث بعيدة وقريبة فهو يتساءل في النهاية :

كيف العبور الى الضفة الناظرة ؟
وكيف الولوج الى الذكريات ؟

وبمثل ما بدأ به الشاعر قصيدته ، انهاها بصوت شبيهبتنغيمات كورالية تغني للصادية التي تاسر ـ مثله ـ حلم الماء .

فاي المواقف اتخذهـا الشاعـر من افكاره ؟

لقد وقف موقفا محايدا منها ، والبسه اسلوبا محايدا في التناول يبدأ « بلو » وينتهي « بكيف ». ان موقف الشاعر من افكاره لم يصل به الى لحظة توتر ... لم يصل به الى حد الازمة النفسية التي تدفع الى معاناة اكثر ومن ثم استغراق كلي في التجربة .

لذا جاءت تجربته دون تجارب شعراء العراق عمقا واصالة .

ومن سوريا ، يقدم لنا الشاعر « صباح الدين كريدي » لحظـة قلقة ، لحظة تجمعت فيها كل ساعات الانتظار الذي نفد صبره .. عبر عنها تلاحق الكلمات واندفاعها وتسابقها .. لقد هيا اسلوب التناول توتر اللحظة . ان كل الرابضين على جبهات القتال يعيشون لحظـة التوتر هذه بكل ما فيها من ازمات ومشاعر متباينة . وتدفق كـل الوان الحركة من لحظة الصمت كان الاسلوب الذي أضفى على تجربة الشاعر الايقاع النفسي المطلوب . ولكن تيار النهر المندفع موقظـا الصمت ينساب في هدوء وعذوبة عندما يخرج الشاعر من معطفه صور الامس الماضي ليمازج حبه ، ويتخذ الايقاع من تلك اللحظـة مسـارا مختلفـا .

والشاعر يطرح في قصيدته افكارا واقعية ، تنبع من واقعيشاركه فيه كل الذين يعيشون معه قلق اللحظة . انه يحلم احلاما ذاتمعنى... احلاما ليست من صنع خياله .. انها من صنع الواقع الذي يعيشـه كل يوم .

ولا شك أن الشاعر قد تمكن ببساطة الكلمات وعمقها أن يحدث تفاعلا ما بين الفكر والاسلوب ، هذا بالرغم من الحاحه على القوافي الذي خفف من عبئها تلاحق الصور والانسجام الكلي للبناء الفني .

ويبقى امامنا من مجموعة الشعراء بعد ذلـك الشاعر « فؤاد الخشن » حيث يقدم لنا لوحة شعرية تحمل فـي مظهرهـا رومانسية شبيهة برومانسية « علي محمود طه » ، وفي جوهرها أفكارا تقدمية. لقد حاول ـ من وجهة نظره ـ ان يغير رومانسية عصره فبدل ان تتغنى بسحر الشرق وجمال الطبيعة ، يمكنها ان تتغنى بتربته « اللهابة الوردية الثقوب » ، فثمة رياح جديدة تهب على بيدر الشرق لتهز قديـم الصور ، وتحيل مرايا الغبار الى مرايا شفافة يرى الشرق فيها نفسه، ولكن هذه المحاولة غير المقصودة قد أحدثت تخلخلا بين اسلوبـه في معالجة التجربة وبين التجربة نفسها ، فقد كانت التجربة فيحاجة الى اسلوب مغاير لذلك الاسلوب الذي ترفرف عليه روح التقليدية. ولعل استهلال القصيدة بـ « ياذاهلا » و « يامن أضاع عمره .. » يشير الى ذلك ويكشف ترهل الشكل الفني ، ثم ان حرص الشاعـر

على تأكيد القوافي بين الحين والاخر يقف برهانا اخر . ومع ذلك، فان بعضا من نجوم متالقة تومض في منعطفات التجربة وتفصح عن امكانيات شعرية خالصة لم يستفد بها الشاعر على طول التجربة .

وانظر الى خنادق ... كانها الدروب
معابر التحول المضيء ... والسفر
او غابة اشجارها الرماح
وزهرها محاجر البنادق
تطل من تربتها اللهابة الوردية الثقوب
براعم لشجر الدراق تستحيل ،
ازهارها قلوب .

ان الحرص على الافكار وحدها لايكفي ، والحرص على اسلوب التناول وحده لا يكفي .. فالشعر ماهو الا تفاعل حي بين الاثنين تذكيه معاناة حقيقية ، والتجربة الشعرية المكتملة النضج هي في حقيقتها نتاج لهذا التفاعل .

القاهرة — محسن الخياط

القصائد

تابع المنشور على الصفحة ـ ١٦

عالج استاذنا نجيب محفوظ هذه الشخصيات . ولا جدال في ان صلاح عيسى قد تاثر بروح نجيب محفوظ . وان يكن له تفرده وتجاربه المتفردة ، خاصة اذا ما عرفنا ان صلاح عيسى عمل اخصائيا اجتماعيا في بدء حياته العملية .

والقصة لا تعطينا المضمون الاجتماعي او الموقف الواضح فحسب، وانما تعطينا خبرة بالحياة ، وتنقية للتجربة الواقعية التي يعرضها علينا الكاتب . فان يكن قد غمس قلمه في لحم الواقع وعظامه ، فهو لا يعدم شفافية الخيال والحلم الرائق !. فتحية لك يا صلاح ، ومزيدا من المواقف التي تدل على الظاهر والباطن معا !.

٢ ـ الرهان :

هذه قصة تجريدية ، تعتمد على مجموعة من الرموز ، تعد من قصص الفكرة السياسية . اختار حيدر حيدر ثلاثة اشخاص ،احدهم فلسطيني ، والثاني سوري ، والثالث مصري .

وفي جلسة دردشة في مدينة غريبة عليهم ، يستنطقهم بمجموعة من الافكار . فالسوري يساري متطرف ، يؤمن بافكاره بطريقة آلية، يحفظ عن ظهر قلب . اما الفلسطيني فيكاد العبث ان ياخذ بخناقه كما يقولون . فهو عبثي الافكار . « اسمع ، انا لم اقل ما فهمت انت ، وانت لم ترد على ما قلته انا . وانا لا اريد ان اوضح مانعرفه، وانا وانت نعرف ولا نعرف شيئا على ما يبدو » .

وهو يخمن بان الحياة على الارض ربما تصبح خرافة ، ومن هنا يصبح التاريخ سخرية وكذلك الانسان !.

اما المصري ، فهو محايد بارد ، صاحب نكتة في اشد حالات النقاش ضراوة ، يقترح الرهان كحل لخاتمة النقاش ، ولمعرفة قيام الحرب بين العرب واسرائيل للمرة الرابعة ام لا ؟!.

غير ان الكاتب ينتقل بنا الى مستوى آخر للتعبير ، فتحت عنوان مقطع من القصة بسمه « الذئاب » يصور لنا فتاتين سائحتين اغتصبهما رجلان ، احدهما قضى معظم حياته في الفنادق ، والآخر مجهول الصفات . فهل هما الفلسطيني والسوري ؟! ، مرة اخرى في ثياب جديدة ؟.

ومن هما الفتاتان السائحتان ؟!. ويحدثنا حيدر حيدر في فقرة ثالثة من القصة عن الحرب .وهذه الحرب هي حرب عبثية ، فعندما يسال الشرطي زميله .

ـ اتعتقد ان في الامر جريمة ؟

قال الآخر :

ـ لا بد انها حكاية مراهقين حدثت وتحدث دائما .

ـ ولكن لا بد من تحرير ضبط بالحادث !

ـ ضبط غامض ، ككل الضبوط الاخرى . حرر .

هل يريد الكاتب ان يقول لنا ، ان الحرب الرابعة بين العرب واسرائيل لن تخرج عن دور المهازل السابقة ، او الحروب السابقة، طالما ان النقاش الدائر على الساحة العربية بمثل هذا الفتور والضياع بين المصري والسوري والفلسطيني .

ذلك مجرد استنتاج ، ربما اكون مخطئا فيه . ان قصة حيدر حيدر تدل على الواقع المفتت الذي تعيشه امتنا العربية في هذه الايام. وربما جاء ذكر سرفانتس في قصته ، ليدل على البحث عن بطل جديد .

يقول نزيل الفنادق على نحو مباغت للشخص الاخر :

ـ بماذا تفكر ؟

ـ برجل اسمه سرفانتس .

وعلى كل حال ، فهذا لون من القصص ، لا يعطينا كلمته او فنيته بسهولة ، فهو يحتاج منا الى مجهود . وكلما بذلنا معه الجهد ، اعطانا اعماقه !.

٣ ـ الليلة نمشي بين الماء والرمل :

هذا الكاتب يبحث عن المثل الاعلى الذي يجب ان يتمسك به . انه يتمثله في عالم الطفولة النقي الشفاف . يبدا قصته بدعاء يقول فيه « يارب ، اجعل لابنك الطفل ، الآن وغدا ، وفي سن الكبر وارذل العمل ، مركبة طويلة ، وبفيض قدرتك ، لا تفسح في ذاكرته مكانا لغير الماء . يارب الابد ، يارب كل عدم » .

فهل تحقق مثل الكاتب ؟!. في اسلوب هو اقرب الى الشعر منه الى النثر ، تخيب آماله واحدة بعد الاخرى !. ان الماء هنا رمز النضارة والحياة ... « وجعلنا من الماء كل شيء حي » . ولكن هذا الماضي الذي يستعيده بطل قصة محمود الريماوي ، لا يلبث ان يفلت من بين يديه .

وها هو يقف عاريا امام نفسه . اصبح الطفل شائخا في طفولته. اما الصبي ، فانه الآخر « ناحلا خائفا ملتاعا ، ثمة من اضاعه في الطريق ! » .

وفي اثناء لقاء الصبي بالطفل بالرجل تكتمل حلقات العمر . « الطفل ينام في حضني ، كان قد ذهب بعيدا في قرارة النوم ،وبدا وجهه يشف عن مسرة غامضة ! »

لقد كانت حياة البطل حياة وحيدة ، معذبة ، باكية !.

انه ما زال يفتش عن ابويه لانه فقدهما وهو صغير ، لا يكاد يتخيل ملامحهما .

وفي النهاية تفشل رحلة الطفل ، فيعود مسرعا الى الوراء .

وهنا يكمن عذاب بطل محمود الريماوي ، فها هو يترك النهر وراء ظهره ، فيجف ماء الحياة في دمائه . ولم يبق له سوى الدعاء يختم به ضيقه ، ولكن اي دعاء يصلح لهذه الحالة ، هو يدعو : « يا ايها الرب العظيم ، ما دام لا ماء ولا طوفان هناك ، لا فيض ولا غرق هناك ، فاجعلها رملا خالصا ، وبفائر قدرتك ، لا تفسح في ذاكرتي مكانا لغير الرمل .

والرمل هنا في رمز الكاتب دليل العدم والضياع .

وبالها من حياة تلك التي يحاول فيها الانسان ان يظل على علاقة بالماء ، فاذا الرمل يسد كل آماله !.

انها قصة ذاتية ، يمتص الكاتب رحيق وجوده في صياغتها ، بدرجة كبيرة من الصدق ، يناضل حتى يحتفظ لمعنى لوجوده الانساني. ولكن هذا الوجود النبيل يتعرض للضياع . لماذا ، وكيف ؟! لا يقدم لنا الكاتب شيئا من هذا . ونحن لا نطالبه بان يقدم شيئا .

فهل يستطيع الانسان ان يستعيد وجوده ؟!.

ان اليوم الذي يمر لا يعود ، كما نقول في امثالنا العامية !.

ويا عزيزي محمود علينا ان نروض انفسنا لتقبل الحياة بكل ابعادها ، كما ان الحياة تروضنا كما تريد . وقد فعلت في قصتك شيئا من هذا القبيل ، فقد اخذت نفسا عميقا من الماضي ، ولكنه احترق كالدخان وسط لهيب الحاضر وقسوته . فمزائي انك عبرت عن نفسك ، وعن حالة انسانية ربما عاشها غيرك ، ولكنها تتوه في خضم نهر الحياة اليومية العابرة !.

٤ ـ حالة حب :

اما قصة « حالة حب » لرشاد ابو شاور ، فهي مكتوبة بدمعه

ودمه ! أشبه بقصيدة في تركيزها ودلالتها المكثفة واسلوبها . ولم لا ... وهي تحتضن بعض أبيات شعر أحمد دحبور ، وخالد أبو خالد ، بين جوانحها .من يحب عبدالله بطل القصة ؟!.

انه يحب فتاة من دمشق ، ثم هو يحب فتاة من الاسماعيلية .

يتزوج ، يستيقظ أطفال بحر البقر وعمال « ابو زعبل »ليزفوه الى عروسه . انه الفلسطيني . لا يتصور احدكم هو قادر على العطاء والحب والمودة واحياء الامل !. رغم الاضطهاد ، فلديه طاقة علىتفجير الحب لا تنفد . ورغم الضياع ، فهو قادر أن يلم اطراف الامل المبعثر، يملأ يده بخصب الطبيعة . وتنتشي روحه بالاغاني الشعبية الفلسطينية:

روحنا عالقواعد روحنا لوحنا بالبنادق لوحنا

لقد مضى العصر الذي ننظر الى مثل هذا العمل ،فنقول: هل يحمل ملامح القصة القصيرة ، أم لا ؟!. انه حالة حب غامر ، فيه من القصة حدوتة « رباح » الذي استشهد ، وفيه من الشعر فيض الحب الذي يسبح فيه البطل الفلسطيني عبدالله . وهو بطل محارب ، لانه يحب الناس والدنيا جميعا .

ان القصة القصيرة تتحول اليوم على أيدي شبابنا الى قصائد شعر . وهذا نصر للقصة القصيرة عظيم !.

٥ ـ الحصان :

لعل ثراء الارض التي أقيمت عليها هذه القصة هو أهم شيء فيها . فهنا تدخل عناصر ثلاثة في تكوينها الداخلي ، الانسانوالحيوان والطبيعة . ولكل واحد من هذه العناصر وظيفة في القصة .لميقصد الكاتب طبعا الى قصة ميكانيكية ، وانما هذا النبض الذي نستشعره هو الذي يعطي للقصة حرارتها وحيويتها في الوقت نفسه !. فهنالك الحصان العجوز الذي فقد مكاسبه ، وكان بطلا قديما في السباق، وهنالك صاحبه الذي يسلم فيه عن طيب خاطر . اما الطفلة الصغيرة ـ حفيدة العجوز صاحب الحصان ـ فهي مهمومة به ، قلقة منأجله !

على أن القصة ليست في هذا الظاهر الذي نراه ، انما يخيل الي ان بعدها الرمزي هو الاهم من بعدها الواقعي .فنحن نعرف قيمة الحصان أو الفرس في أدبنا العربي القديم ، وخاصة في الشعر . وايضا ، فهذا الحصان قد وقف عند باب الحديقة ، ولم يدخلها وقف ينظر الى شجيرات البرتقال . وقد عودنا الكتاب الفلسطينيون ان يرمزوا باشجار البرتقال لارضهم السليبة .

فهل هي القوة العربية تشيخ ، لا يستطيع احد ان ينقذها، متمثلة في هذا الحصان ؟!. على كل حال لست من هواة حل الالغاز، أو حتى الرموز الادبية . ويكفي هذه القصة هذا المناخ الانساني الذي اشاعته في نفوسنا . والدقة البليغة المكتوبة بها . فصاحبها مهدي عيسى الصقر يتميز بقدرة فائقة على رسم اللوحات الانسانيةوالطبيعية حبذا لو استغل مقدرته تلك في عمل طويل يطالعنا به .

والعبرة في النهاية بالمضمون الانساني الذي يريده القاص. وقد وصلنا هذا المضمون من خلال البعد الظاهري البسيط للقصة !.

٦ ـ نهاية غير طبيعية لمسرحية « أغنية على الممر » :

عادل أبو شنب من كتابنا التقدميين كنا نقرأ له منذ الخمسينات بمجلة الثقافة الوطنية . وقصته هذه محاولة لاعادة النبض الى مسرحية صديقنا علي سالم لنفكر جيدا في قيمتها ، وماذا فعلت بها الايام . هل حقا كما يقول عادل أنها أحدثت ثورة في المائة مليون عربي ، أو هل أسقطت النظم المتخلفة ، أما أنها كانت طلقة للتحذير ، ثمانتهت؟! يختار الكاتب احدى شخصيات المسرحية ، الحامل لسر اللحنالذي الفه احد أبطالها ، وبدل أن يموت ـ كما فعل المؤلف معه ـ أحياه من جديد ليتحدث الينا ويمضي على قدميه ، ويصطدم معالاضداد !.

هو يذهب الى الاذاعة وهو في شدة الفرح ليذيع سر اللحنالذي اعطاه له البطل الشهيد . فماذا يواجهه ؟. خيبة أمل وسوء طالع .

وملحن يرتدي قميصا أحمر ـ مشغول الى شوشته ـ في أمور لا تمت الى معركتنا بصلة . يتورط البطل حامل اللحن ، وتظلم الدنيا في عينيه (كما يقولالكتاب التقليديون) .وينتهيالفصلالاول من الحكاية ، دون أن يتدخل مؤلف المسرحية أو مؤلف القصة في حياة البطل بعد خمس سنوات من الهزيمة .

انها قصة كما نرى مريرة الطابع ،تجعلنا نفكر في الاحداث التي مرت بنا ، وماذا فعلنا تجاهها ؟!.

وهي قصة حزينة حزن الهزيمة نفسها ، طعمها طعم العلقم ، فماذا يفيد الفن الصادق وسط نهر الزيف والعفونة الساخنة .ماذا تفيد الاصوات القليلة وسط ضجيج سوق المضاربات الفئةالسخيفة؟!.

ان عادل أبو شنب يرمي بقفازه في وجوهنا ، اننا نخون رسالة ولحن شهدائنا ، وعلينا اذا كنا جادين وصادقين ان نواصل مسيرتهم، بالعمل ، لا بالشعارات ، بتوحيد الايقاع ، لا بالتشتت والضياع، بالاصالة والمعاناة ، لا بالسطحية والاستخفاف !. وليست هذهنصائح يطرحها علينا الكاتب ، انما هي عصارة ورحيق قصته العميقة .وليس هذا بغريب عليه ، فقلم صاحب تاريخ ، لا بد وان يحترم تاريخه، يواصل مسيرته الى النهاية .

٧ ـ حزيران رقم ٣٢٢٢١ ...الخ

أما القصة الاخيرة في رحلة اصدقائي كتاب قصص الاداب ،فهي لنيروز مالك . تذكرني هذه القصة بكلمة قالها صديقي الدكتوريوسف ادريس بعد الهزيمة ، هو أننا لا ينبغي أن نقرب زوجاتنا حتى نزيل آثارها . ولسنا في صدد الحكم على هذا الندم المكثف الذي انتابنا بعد الهزيمة . ولكن قصة نيروز مالك فيها عروق من كلام يوسفادريس، بل هي تجسده أشد تجسيد . فالبطل فيها عاجز جنسيا ، والمناخ الذي يحوطه هو مناخ الزجاج المصبوغ باللون الارزق ، أي مناخ الحرب . وشموس حزيران في رحلة الذهاب والاياب تحفر رقما بعد رقم في وجوه الرجال والارض والتاريخ !

وهذه الامة المعذبة برجالها ، ماذا تستطيع ان تفعل حتى تحفزهم للدفاع عنها ، والاخلاص لها ؟!.

ان الكاتب يختار لحظة الجنس ، يرمز بها الى تدفق الحياة والخصب والنماء ـ فاذا وقعت هذه اللحظة في براثن الاحباط المستديم ، فمن ينقذها ؟!. ولننظر الى هذه اللوحة التي رسمها نيروز مالك لبطله لنرى هذا الخليط المعذب الذي يعيش فيه « كان الصخب يصم أذنيه ، والجنس يعذبه ، والعجز يقتله ، وحزيرانيسوح في شوارع المدن يصبغ زجاج بيوتها باللون الازرق القاتم ، ويداعب الافخاذ العارية ، ويتسلل ضاحكا الى الصدر ليداعب النهود المقتولة بالرغبة، ويختفي تحت الاباط الحليقة الناعمة ، ويمر على الخنادق المحفورة في اللحم والارض والتاريخ ! »

انه بكل محيط غاية الاحباط ، عاجز غاية العجز . وهذه هي رؤية الكاتب ، نكون متعسفين لو طالبناه ببطل ايجابي !. اليست هذه اللوحة المشتتة هي صورة من التناقضات التي ألحت البهافي بداية تقديمي لهذه القصص ؟

ولكن هذه السلبية الفظيعة التي تحوط البطل ليست سلبيته وحده ، وانما هي سلبية عامة تغطي رقعة واسعة من الساحة .

واذا كان نيروز مالك يشير ويرمز في شفافية ، فلكي ندرك عمق الهوة التي نتردى فيها .

وتلك احدى مهام الكاتب في ايامنا ، أن يبصرنا بالواقع الذي نعيشه ، يحفزنا لتجاوزه .

وتحياتي لاصدقائي كتاب قصص العدد الماضي من الاداب .

حلوان

فاروق منيب